17

وصية في الصلاة والكلام

نص الوصية

عن أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علِّمني وأوجِزْ. قال: **«إذا قُمْتَ في صلاتِكَ فَصَلِّ صلاةَ مُوَدِّعٍ، ولا تَكَلَّمْ بكلامٍ تعتذر منه، واجمعِ اليأسَ مما في أيدي الناس»**[1].

مفردات الوصية

لا تكلم: أصله "لا تتكلم" فحذفت إحدى التاءين.

اجمع اليأس مما في أيدي الناس: أي ازهَدْ فيما في أيدي الناس، ولا تنظر إلى ما يملكونه من متاع الحياة الدنيا.

ما يُفْهَمُ من الوصية

أختي المسلمة، هذه وصية عامة للذكور والإناث، وفيها أمران لا بد أن نتكلم عليهما هنا، وأما الأمر الثالث فسبق شرحه في وصية سابقة في الزهد.

1- صلاة المودع ومعناها

إن على الإنسان المسلم أن يصلي خمس صلوات مفروضات في يومه بتمام ركوعها وسجودها، وثمة صلوات أخرى نوافل أو مسنونات يصليها

(1) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" برقم (3987). وهو صحيح.

المسلم في يومه: صلاة الضحى، وصلاة شكر الوضوء، أو سنة تحية الوضوء، وصلاة سنة تحية المسجد، وصلاة سنة الصبح، وسنة الظهر القَبْلية أربع ركعات، وسنة الظهر البَعْدية أربع ركعات، وسنة العصر قبل فرض العصر أربع ركعات، وسنة المغرب ركعتان بعد فرض المغرب، وبعد فرض العشاء ركعتان، وسنة الوتر أو التهجد أو قيام الليل كما مضى شرحه وبيانه، وغير تلك من صلوات مسنونة.

والفرض علينا أن نصلي الصلاة كما جاء بيانه عن النبي ﷺ في أركان الصلاة، وإذا أهملنا أي ركن منها فالصلاة باطلة، وعلينا أن نقوم بالركوع والسجود وغير ذلك من أركان الصلاة كما أمر الله سبحانه لتصح الصلاة سواء أكانت فرضاً أم سنة.

غير أن الإنسان حين يصلي الصلاة تشغله أمور أحياناً بحيث يدخل الشيطان في نفسه ويوسوس له كي يسهو عن الصلاة سهواً تاماً، وبهذا تختلُّ الصلاة فينسى الإنسان عدد الركعات التي صلاها، ومن ثم كانت سجدتا السهو هما اللتان تجبران صلاة الإنسان المسلم بحيث يقدّر عدد الركعات التي صلاها بحسب ما غَلَبَ على ظنه أنه صلَّى منها، ثم هاتان السجدتان هما أيضاً إذلال أو إرغام لأنف الشيطان؛ فكأننا نضع أنف الشيطان في الرَّغام أي التراب.

ولكن الشيطان لا يدخل إلى نفس الإنسان ولا يوسوس له إلا إذا سمح الشخص الذي يصلي للشيطان بأن يدخل إلى نفسه ليوسوس له؛ وهذا يكون بعدة أمور منها: أن ينشغلَ الإنسان بأمر من أمور الدنيا، وعندما يصلي يظل هذا التفكير دائراً في ذهنه، فهذا ما يجلب وساوس الشيطان ويفتح الباب لدخوله. وأيضاً من الأمور التي تسمح للشيطان أن يزور أخيلتنا

ويوسوس في أفكارنا الإجهادُ الفكري أو البدني الذي يحصل فينا؛ وذلك مثل أن يستيقظ الإنسان من النوم مباشرةً وهو متعب، أو أن يكون قد أتعب نفسه في العمل اليومي كثيراً، أو أن يكون الإنسان في حالة غير مريحة، كشدة الحر وشدة البرد أو تحيط بنا الأصوات الخارجية الشديدة الملهية، والأحداث المفاجئة التي تحدث حولنا، وكل ما يلهينا ويشغلنا من الحوادث الخارجية.

والنبي ﷺ عندما يوصينا أن نصلي صلاة مودع فهذا يعني أن نتخلص من الأمور التي تشغل بالنا في داخل نفوسنا أو تأتي من الخارج، وأن نجعل تفكيرنا منحصراً في موضوع واحد: أننا نفكر فقط في أننا حين نصلي هذه الصلاة الحاضرة فكأننا سنرحل عن الحياة الدنيا بعد انتهاء هذه الصلاة، وهذا التفكير يدفع بنا إلى نسيان كل ما حولنا والاستغراق في الصلاة نفسها.

وما يساعد الشخص على الاستغراق في صلاته أن يكون قادراً على التفكير فيما يقرأ من القرآن وعلى تدبُّر معاني القرآن الذي يقرؤه في صلاته، فعندما يفكر الإنسان في آيات الفاتحة مثلاً ويشعر بهذه المعاني العظيمة الفخمة التي فيها، ويتوقف في نفسه للتفكير في كل الألفاظ فهو يساعد نفسه على أن يصل إلى الدرجة التي أرادها النبي ﷺ منا أن نصل إليها في هذه الوصية؛ أي درجة صلاة المودع.

إن التفكير في الجنة والنار وثواب الله ورضوانه، والخشية من عقابه، وطلب مغفرته، وشعورنا بأن الله سبحانه وتعالى سيغفر لنا، وشعورنا بالخوف من الله بسبب هذه الذنوب، ومحاولة التضرع والإكثار من الدعاء في السجود خصوصاً، وفي دعاء القنوت في صلاة الفجر أو الوتر أو غير ذلك من الصلوات كقنوت النوازل (المصائب التي تنزل بنا وبالأمة)، كل هذا يقربنا من الله فكأننا نصلي صلاة شخص يودع الحياة الدنيا بعد قليل.

2- الكلام السديد

أختي المسلمة، إن النبي ﷺ يوصينا هنا بألا نتكلم بكلام نعتذر منه غداً، فكثيرات هن الفتيان اللاتي يتحدثن مع رفيقاتهن وغير رفيقاتهن بأسلوب فيه استهانة بالآخرين، وجرح لمشاعرهم، ولا يصح أن نلجأ في حديثنا مع الآخرين إلى الجرأة الشديدة التي تجعلنا نطلق كلاماً نندم عليه، ثم نحتاج في اليوم التالي إلى أن نعتذر عن صدور هذا الكلام الذي قيل حيث لا مجال لرفعه ومحوه بعد أن سمعه الآخرون.

وربما تستهين الفتاة بدينها أحياناً حين تغضب، فتتفوه بكلمات خاطئة آثمة، وربما يجر الكلامُ الكلامَ فيتعدى الإنسان الحدود مع ربه ومع الآخرين في آنٍ معاً.

وليس هذا حسناً في حق المسلم، فالمسلم لا يتكلم بالكلام الرديء، وها هو النبي ﷺ يبيِّن لنا ذلك كما بيَّن الله سبحانه لنا ذلك، قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: 148]؛ ولا يعني ذلك إلا أن يظهر الإنسان للآخرين أن فلاناً آذاه فقط، وأما أن يقوم بلعنه فهذا ليس من شيم المسلم الكريم السمح المؤمن تمام الإيمان؛ فقد قال النبي ﷺ: **«ليس المؤمن بالطَّعَّان ولا اللَّعان ولا الفاحشِ البذيء»**؛ فالمؤمن لا يطعن على الناس في أعراضهم، كما أنه لا يكثر من اللعن لهم ولا يتكلم بكلام فاحش بذيء في حقهم.

وقد قيل في معنى هذه الآية: إنها في حق الضيف، فالذي نُحسن ضيافته مثلاً ثم نأتي لعنده فيسيء إلينا فلنا الحق أن نقول للناس: إن فلاناً لم يكرمنا ولم يحسن ضيافتنا، فهذا من الجهر بالسوء من القول لمن ظُلِمَ.

وأما الألفاظ والعبارات النابية الجارحة فهي لا تصح أن نواجه الناس بها، فالنبي ﷺ قال: **«إن اللهَ يحبُّ معاليَ الأخلاقِ، ويكرهُ سَفْسَافَهَا»**.

وثمة مسألة مهمة في أمر الدعاء لا بد أن نلفت النظر إليها، فقد يدعو شخص على آخر ظلمه، فيكون الدعاء انتصاراً من الظالم، فقد ورد في الحديث قول النبي ﷺ: **«مَنْ دعا على مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدِ انْتَصَرَ»**، وقال لعائشة رضي الله عنها حين دَعَتْ على سارق سرق منها مِلْحَفة: **«لا تُسَبِّخِي عنه بدعائِكِ عليه»**؛ أي لا تخففي عنه الإثم بدعائك عليه، وهذا لأن الانتصار للحق كان بالدعاء فيخفف عنه يوم القيامة[1].

على كل حال فالله سبحانه وتعالى مدح العافين عن الناس وعن الجرائم الصادرة منهم، وفي موضع آخر مدح الذين ينتصرون من ظلمهم؛ فالمدح للمنتصر هو لأن الباغي الظالم ذو جرأة وفجور، وكذلك لأن الدفاع هو دفاع عن الدين، وأما المدح للعفو عمن ظلم إذا ما كان لأجل أن الذي ظلم لا يقع منه ذلك دائماً، ولأن ذلك وقع منه نادراً، فهنا يستحب العفو، ولذلك طلب منا إقالة ذوي الهيئات عَثَرَاتِهِم؛ وذلك في قوله ﷺ: **«أَقِيلُوا ذوي الهيئاتِ عَثَرَاتِهِم»** أي أن نقبلها منهم بالعفو عنهم، وهذا لا يعني إسقاط الحدود التي أمر الله بها أن تقام في الأرض إلا ما يتعلق بالأمور التي أجاز الله فيها العفو إذا عفا الناس مثل أن يعفو الرجل عن السارق بأن يترك له المال، وأما إقامة الحد عليه فلا حق لأحد بالعفو عنه، وكذلك في جريمة القتل التي هي حق شخصي جُعل لأولياء القتيل، فإما أن يعفوا عن القاتل وإما أن يقبلوا القصاص بالقتل، وأجاز لهم العفو في الدية أيضاً.

---

(1) استنكر بعض العلماء المحدثين هذا الحديث المروي في سنن أبي داود من جهة أنه مخالف لمنهج النبي ﷺ في الرحمة بالأمة، ومن جهة ضعف السند. ولكن يكفي أن الحق يؤخذ بالدعاء على الظالم في الحديث الذي قبله.

أختي المسلمة، إن هذه الوصية تحضُّنا على أن ننتبه في كلامنا لعدم إيذاء الآخرين ما أمكن، وأن يكون خُلُقنا نابعاً من سماحتنا وتسامحنا مع الآخرين فلا نجرح مشاعرهم ولا نؤذي كرامتهم بكلام قبيح، فاحذري الغضب والمخاصمة مع الأخريات لئلا تقعي في الحرام الذي نحاسَبُ عليه أمام الله يوم القيامة.